اشتغال الذاكرة إشكاليّا

قراءة في «رسالة زاهانا من السجن» بصدد قرارالإعدام

Memory function problematically
A reading of Zahana “Letter from Prison” regarding the execution orde

د. ساعد بلهادي

جامعة الجزائر2

Saad_belhadi@hotmail.com

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2021/03/29	2021/04/16	2021/06/01

الملخص:نروم من خلال هذه الدراسة الاضطلاع إلى قراءة نص رسالة زاهانا من السجن، لإيجاد مخرج إشكاليّ للذاكرة. تبدو هذه المسائلة أكثر تمنعا إن لم تسحب عبر قضية الواجب كممارسة تتصدر الرسالة، ناهيك عن كون التفكير في اشتغال بعد الأمانة يضعنا بصدد إشكالية الضمير والمسؤولية، ويتأتى لهذه المفاهيم التشكل انطلاقا من معطيات الخطاب، الذي يتداعى للتأويل في نسخته الأكثر انفتاحا على التراث الثوري الجزائري، ولا ريب أن استنطاق لحظة زاهانا يتجذّر أكثر في العودة إلى قراءة ما تنطوي عليه الرسالة من شرط تفكّري، يمنح الانتقال بين إشكالية الذات والذاكرة. وعليه كيف يمكن وضع مقاربة تستنفد هذه المعطيات؟

الكلمات المفتاحية: الذات؛ الذاكرة؛ الكتابة؛ الاستنطاق.

Abstract : Through this study we aim to read the text of Zahana letter from prison to find a problematic way out of memory. This consideration seems to be more difficult if it is not withdrawn through the issue of duty as a top practice, not to mention that the thought of working after the Secretariat puts us in the context of the problem of conscience and responsibility. These concepts come from the data of the discourse, which is interpreted in its more open version of the Algerian revolutionary heritage, The questioning of the moment of Zahana is more likely to be rooted in a return to the reading of the message of a thought condition that grants the transition between the problem of self and memory. How can an approach be developed that exhaust these data?

Keywords: Oneself; memory; writing; questioning.

لطالما أغفلت العديد من الدراسات في النقد الجزائري الاهتمام بالتراث الثوري، والالتفات إلى الوثيقة الشخصية بوصفها تراثا سرديا، وحدثا في غاية الأهمية، وفي هذا السياق يبدو وضع رسالة أحمد زاهانا بصدد وثيقة الإعدام إشكالية مشروطة بالذاكرة. وريثما يتضح أن هذا التراث الثوري المكتوب عبارة عن وثيقة سردية تختزل المأساة في التاريخ، مع العلم أن "مجهود الذاكرة هو في قسم كبير منه مجهود تعيين التاريخ"(1)، باعتبارها معضلة أخرى تنضاف إلى هوية الذات الزاهانية المعنية بظاهرة الكتابة. فالكاتب إذن ثائر ومناضل في الثورة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي، أجبر على ترك الدراسة والتوجه إلى المقاومة، مخلفا مضايقة كبيرة للسلطات الفرنسية، دخل السجن أول الأمر ثم نفي من ولاية وهران التي كان ينشط بها قبل الثورة، ليعين مسؤولا على المنطقة إبان انطلاق العمل العسكري، ويعد أول من تعرض للإعدام في الثورة الجزائرية،بسجن بربروس، عام1956، وهناك كتب قائلا:

"أقاربي الأعزاء، أمي العزيزة: أكتب إليكم ولست أدري أتكون هذه الرسالة هي الأخيرة، والله وحده أعلم. فإن أصابتني مصيبة كيفما كانت فلا تيئسوا من رحمة الله. إنما الموت في سبيل الله حياة لا نهاية لها، والموت في سبيل الوطن إلا واجب، وقد أديتم واجبكم حيث ضحيتم بأعز مخلوق لكم، فلا تبكوني بل افتخروا بي. وفي الختام تقبلوا تحية ابن وأخ كان دائما يحبكم وكنتم دائما تحبونه، ولعلها آخر تحية مني إليكم، وأني أقدمها إليك يا أمي، وإليك يا أبي، وإلى نورة والهواري وحليمة والحبيب وفاطمة وخيرة وصالح ودينية، وإليك يا أخي العزيز عبد القادر وإلى لكحل وليد وإلى سفيان وجميع تلاميذ (قسم 4م2)، وجميع من يشارككم في أحزانكم. الله أكبر وهو القائم بالقسط وحده هو العادل... ابنكم وأخوكم الذي يعانقكم بكل فؤاده"(2).

تطرح الرسالة للنقاش إشكالا مهما للغاية؛ التاريخ علاج أم سم؟ سؤال قدمه بول ريكور في كتابه: « الذاكرة التاريخ والنسيان»؛ مفاده أن في الكتابة التاريخية يحصل أن لا يكون للذاكرة من ترياق سوى الكتابة، التي تجدر الإشارة إلى أنها يمكن أن تكون العلاج كما لا يستبعد أن تكون سمّا أحيانا(3)، تلك الذاكرة التي لا تستبعد على الدوام تدخل الشرط الأولي للظاهرة في تخريج يتسنى عبر استنطاق النص التاريخي، إن مشكلتنا الراهنة هي العناية بالتراث الثوري في مواجهة الذاكرة المثخن بها، وتستدرج معرفة هذه الإشكالية في البدء ربيا للاشتغال على ما تراهن عليه

الكتابة بخصوص الذاكرة، وعموما أليست حفظا لها من الضياع والتلاشي؟ ثم أليس من الواجب معرفة أننا أمام مسألة الاستمرارية المعنية بها أول الأمر؟ ثم إن الاهتمام بأفق التاريخ والذات والسرد ينفتح على إشكالية الهوية، وإن كان ذلك كذلك كيف يمكن استنطاق هذه المفاهيم بصدد الذاكرة ؟ وكيف يتسنى استنطاق الرسالة بوضع تصورات للذاكرة في أفق إشكالي هوياتي؟

أولا_ النص الزاهاني؛ بين الحدث والكتابة

يعدّ النص الذي طرح إشكال الذاكرة كفن هو موقف أفلاطون من الكتابة، مستعيضا منها في محاورة فيدروس لما توقف عند ذاكرة سابقة دخلت في الكتابة، ويتعين أن مرضها باعتقاده يأتي من الخارج، زيادة على هذا لا يغفل عن كونها ليست أكثر من "تكنيك للتذكر وطاقة للنسيان" (4)، لابد من العلم أن ما يطرح للنقاش في هذا الموقف جدير بالاهتمام، لما تعنيه قضية الكتابة وتعضيدها للذاكرة، كما وردت في المحاورة حرفيا كالآتي: "هاك أيها الملك معرفة تجعل المصريين أحكم وأكثر قدرة على التذكر، لقد اكتشفت سر الحكمة والذاكرة" (5)، ثم يأتي الرد بالرفض لهذا البديل _الكتابة_ من قبل الملك «تاموس» على الإله «تووت»، ولما أن كانت تقبل "بحجة النواب عن الذاكرة، تضاعف الكتابة النسيان، وبعيدا عن أن تزيد المعرفة فهي إنما تنقصها. لا تستجيب إلى حاجة الذاكرة، بل تجانب المطلوب ولا تقوى الذاكرة الحية، وإنما الاستذكار (المصنوع) فحسب وإذن فهي تعمل ككل فارماكون" (6)، ويبدو أن الاعتقاد الثاوي في عرف اليونان هو المراهنة على مهمة الذاكرة وقدرتها على التحصيل المعرفي، غير أن الشرعية توشك على الزوال شيئا فشيئا أمام التكلف بتدوينها، المعترض عليه في محاورة فايدروس أيما اعتراض، ولاشك أن هذا التهجم على الكتابة يلفى تحيزا لمركزية الصوت واللوغوس والميتافيزيقا...إلخ

ولما أن كان الاشتغال على الذاكرة يتأبى عن النسيان، كونه يندرج ضمن الاحتياط وما لا يمكن نسيانه، فلا حرج أن "تكون الكتابة معطاة كنائب حسي، مرئي، وفضائي عن الذاكرة، ثم تكشف بعد ذلك عن كونها ضارة ومخدرة للداخل غير المرئي للروح، وللذاكرة والحقيقة" (7)، فريثما تحتفظ بحيز بقاء الأثر وانكشافه أمام التكثيف المفترض أن ينزوي خلف الخطاب

التاريخي، الذي ظل الصمت مطبقا على قدرته/عجزه إزاء ما تنطوي عليه هذه الذاكرة، لأجل كل الصراعات الهوياتية تتضح الإشكالية التي تتموقع فيها، انطلاقا من النقاشات المخصصة للنسيان والغفران، فمن الضروري معرفة المدى الذي يشكلانه؛ إذا ما اتضح أن قصارى ما نعمل عليه في التمييز والقول لبول ريكور *Paul Ricœur* بالنسبة إلى النسيان؛ إشكالية الذاكرة والوفاء للماضي. وفي مستوى آخر بالنسبة إلى الغفران؛ إشكالية الذنب والمصالحة مع الماضي [8]، وها نحن نقف عند أعقد أشكال الذاكرة صعوبة، فيما يخص عدم النسيان والغفران بصدد الذنب، المقترف من قبل الاستعمار، والمتمثل في وثيقة القرار بالإعدام أسفله الصادرة بشأن أحمد زاهانا:

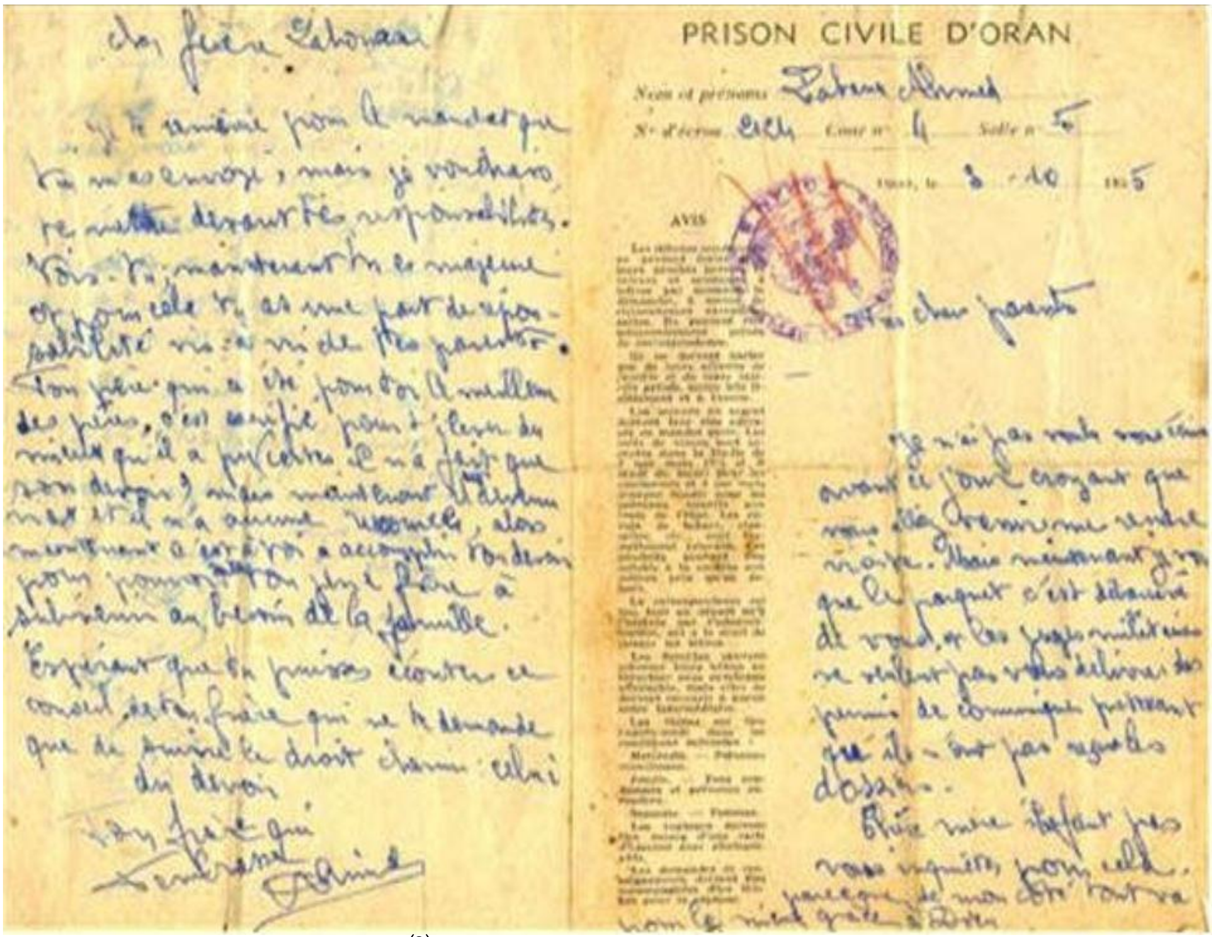
PRISON CIVILE D'ORAN

Nom et prénoms

AVIS

وثيقة القرار بالإعدام الصادرة عن سجن وهران» [9]

لا مراء من أن **إشكالية الذاكرة** شأنها شأن أشكلة الذات، تراهن على الانطلاق من النص للوصول إلى الذات، من خلال أنثروبولوجيا فلسفية، لا يجد حرجا حينها بول ريكور للعودة إلى معرفة أن القدرات الذاكرية هي من نفس طبيعة المقدرات، "إن أنا أستطيع أن أتذكر تندرج

كذلك في سجل المقدرة على العمل، التي يتمتع بها الإنسان القادر" [10]، ولا يتماشى مع هذا القرار أعلاه أن يهمل النسيان كمؤشر ضروري، وتأتي الرسالة بين صدوره ولحظة الاعدام، فأن يكتب المرء وهو متجه نحو الموت فهو ما يبقي على استدراك التساؤل من داخل واقع تاريخي مرهون بلحظة فريدة؛ "**ولكن ما هذا الموت الأكثر واقعية من الحياة؟**"[11]، ولأن هذه الواقعية أنطولوجيا لا تجعله رهين أفق مستقبلي، طالما أنه يسكن الحياة، على غرار هذا الطرح يأتي "التعبير (من أجل) في الجملة الوجود_من_أجل_ الموت، يبدو وقد تضمن توجها نحو الاكتمال والانتهاء" [12]، وتتضح أيضا إرادة بول ريكور في تشريف الحياة حتى الموت عبر عيش زمن الكتابة، لأن الناس لم يولدوا ليموتوا بل ليبتكروا، حسبه، فأن يكون المرء حيا فذلك يتضمن غياب هذا الذي لم يعد موجودا، ولكنه كان موجودا، فيما يعبر عنه بالمنابع العميقة للحياة، عبر النصوص التي كتبها ناجون من محتشدات الموت والإبادة[13]، و لاستنطاق نص زاهانا لابد من وضع تجربته بصدد مقولات أكثر إشكالية. حيث تبدو العودة للحديث عن الكتابة في هذه الحالة تتخذ مجرى الحدث، وتكاد تتناسب مع أي ظاهرة تملك إحداث الإزاحة والاستمرارية في الحين ذاته؛ أي ما يمكن أن يتجاوز المفهوم الزمني المعتاد، كونه يشكل قطيعة وتجاوزا، بيد أن هذا الحدث لحظة تقتضي التفتيش عن المنعطف الذي تراهن عليه إشكالية الذاكرة حينما يتعلق الأمر بالحدث التاريخي ومقاومة الزمن بالمعنى الفيزيائي للكلمة.

أن يدرس التاريخ معناه أن يماط اللثام عن الهم السردي الذي يكتنفه كخطاب لا غنى فيه عن قضايا تاريخ الأحداث؛ الذي "لا يمكن إلا أن يكون تاريخا سرديا، وهكذا يؤخذ التاريخ السياسي، وتاريخ الأحداث والتاريخ السردي كتعبيرات مترادفة، والأعجب بالنسبة إلينا نحن الباحثين عن المنزلة السردية الدقيقة للتاريخ، إن هذه الفكرة عن السرد لن تناقش أبدا لذاتها كما نوقشت فكرتا أسبقية التاريخ السياسي والأحداث"[14]. عندئذ ندرك جيدا أنه لا يمكن بحال من الأحوال تجريد **رسالة زاهانا** من مشروطيتها إزاء التعقيدات السياسية التي لفظتها أوّل الأمر، مع مراعاة حدث الحكم بالإعدام، الذي ألجم كل محاولة للتفكير في نيل الحرية الشخصية، وهذا لا ينفي استقلالية الفرد في القرار، بل إن استشراف اللحظة كان عن وعي من قبل الإنسان القادر؛ المتملّك لـ "القدرة على التكلم، القدرة على التدخل في مجرى الأمور، القدرة على السرد،

والقدرة على تحمل عبء يشكل هو بعينه الصانع الحقيقي له"[15].

ويضاف إلى تأويل النص الزاهاني مراعاة قلقه الاغترابي الشديد، نظرا إلى معاناة التهميش الدائم لهويته الثقافية المتشظية، فذات الفقد تحيل لحظة الكتابة إلى استرجاع حدث القرار الموجه للموت، ويطال هذا النص الدعوة إلى توسل مفهوم التضحية والقربان، حينئذ يبدو أنه لا خلاف عن كون الموت المنتظر من قبل زاهانا لم يكن اختياريا، بل هو قضية حتمية تجعله يشعر اتجاهه _والحال هذه_ بأنه مقتدر على ملاقاته، فهو يشكل سلطة عبر الخطاب موازية لما يمارسه الموت عليه من فاشية حد التطرف، أو إذا شئنا هو نوع من التعولم؛ وهو "الشعور بأننا نعيش في عالم يحيط بنا من كل الجهات، ولا نستطيع أن نخرج منه، إنه المدى الذي نسير فيه من دون أي إمكانية للخلاص منه"[16]. ولا يقتصر الحديث عن الموت بوصفه حقيقة وجودية، أو تعبيرا عن مستوى متعال من المخيال، حول مضمون الاضطراب بخصوص النهاية، نهاية الحياة بالنسبة للكائن، وما يعزوها حيال التجرد من المخاوف والتصدي للخبر المفزع والمريب، بل يأتي هذا النص حدثا جوهريا تبعثه الكتابة نحو إيقاظ لغز الآخرية، "إن الغيرية تبلغ ذروتها في الشعور بالغربة ...المسماة الغربة القلقة"[17]. ويجتاح هذا الوعي بالنص التاريخي افتراض يراهن على أن الأحداث فيه "تستمد قيمتها من كونها متضمنة في البدء في أخبار رسمية، أو شهادات شهود عيان أو سرد قائم على ذكريات شخصية "[18]، وهذه السياقات التي تحيط بالحدث الذي يعيشه القربان_زاهانا_ تجعله يشكل طرفا في قضية المستعمِر والمستعمَر، بل إنه يهدد بسلطة المركز حيا، وليس أقل منها ميتا، وعلى قدر خطورته كشخص يبدو أنه أكثر الكائنات وعورة أمام ما يتهدده من مآزق، فضلا عن كونه بهذا الأسلوب يقلب قيم الاشتراك المأساوي المعتاد، وعليه تتجلى أكثر خصوصية نظرتنا إلى زاهانا بوصفه قربانا وإلى موته كونه ملحمة، ليجدد قصة موته المعلن، والتأجيج الذي تفرزه الرسالة يكمن في قيمة الوصية وحمولتها الثقافية المنفتحة على تأويلات الهوية.

لا يخفى على القارئ أن النص ينطوي على بعد شاعري، على غرار ما نجده لدى محمود درويش في قصيدة « **القربان**»، ذاك البطل الذي لا يفنى إلا ليبعث ويحيا من جديد كطائر الفينيق؛ وإلى غاية نهاية القصيدة يتأكد لدينا تماما كيف يؤمّن الرجل بأنه يوما ما "**يبعث من**

ظلام الموت حيا"، وهو الحال الذي تختص به إرادة الإنسان القادر الذي لا يبحث عن بديل آخر يمنحه المقدرة على العودة، بل إنه يلتمس الانوجاد بفضاء إشراقي يغنيه عن الوسائط، ولهذا زاهانا يتوجه نحو الله مباشرة كي يستقل بحياة أخرى هناك؛ حيث يكون جسدا نورانيا أبديا لا يفنى، هذا التعالي الذي يتجسد لدى مفدي زكريا في قصيدته «**الذبيح الصاعد**»؛ حينما ألهم الرجل الشاعر: **"اشنقوني فلست أخشى حبالا واصلبوني فلست أخشى حديدا"**.

إن الحديث عن فكرة الخلاص هذه لا يتسنى إلا بادراك فهم مزدوج باعتبار أن «**رسالة زاهانا**»، ذات حدّين؛ هي موجهة لاحتواء الهشاشة العاطفية لدى الآخرين _المتلقين_ ومن جهة أخرى هي رسالة إقرار بالنهاية التي لا مفر منها بما هي نضج وموت وخلاص[19]، زيادة على أن موته بهذه الطريقة يبقي على رغبة مثالية، تنعطف نحو استبعاد المراسيم المعتادة المتعلقة بالحزن والحداد[20]، وعليه يشدد على ضرورة تجاوز هذه الطقوس المتبعة في الموت بتقاليد مغايرة؛ أن يفتخر الجميع بهذه النهاية _التي تفرضها قيم الحرية والهوية والوطن_ وليس من الهين فك شفرة الحزن؛ بما هو"التعاسة التي لم تقم بعمل معالجة الحزن(الحداد). نعم إن المرح هو مكافأة التخلي عن الموضوع المفقود، وعربون المصالحة مع موضوعه وقد استبطن. وكما أن عمل معالجة الحزن (الحداد) هو الطريق الإجباري لعمل الذكرى، فيمكن للمرح أن يكلل بنعمته عمل الذاكرة. في أفق هذا العمل: ذاكرة 'سعيدة' حين تكمل الصورة الشعرية عمل معالجة الحزن"[21].

غني عن البيان أن رسالة زاهانا من بين النصوص المعنية بتجربة الموت في لحظة الكتابة، توريطا للآخر في الخطاب وإقحامه على مشاركة التفاصيل العميقة في الفناء والخلاص، ليظهر في نهاية الأمر بأننا بصدد ذاكرة ملزمة يفعّلها نداء الأمانة، مع مراعاة طموح الوصول إلى "الحقيقة الذي يميز التاريخ عن الذاكرة، وكيف تواجه عند الضرورة نذر هذه الأخيرة بالأمانة؟"[22]، ناهيك عن أنه صوت نابع من عمق خطاب زاهانا، وتغدو بالمناسبة فكرة الأمانة الالتزام بالواجب اتجاه الذات، وكيف لها أن تكون في منأى عن المعنى الشائع للموت؛ التناهي والمحدودية؟ تنبني المفارقة إذن على محاولة فهم موقع الذات، واستفزاز الصمت المطبق على تداعيات الكائن المتجه صوب الموت.

ثانيا_ الذات وهوامش الذاكرة

لا تكاد تعدل القراءة عن إشكال الذات، بما هي مثخنة بآفاق منفتحة على التأويل، حيث تبدو قراءة الرسالة متمنعة دون الرجوع إلى المشروطية التي تتحدث من خلالها الذات الزاهانية، وعليه لا نتحاشى ذكر أن "أولية المستقبل ملازمة لموضوعة الوجود_من أجل_ الموت. وهذه تملأ كل ملء المعنى المدرك التمهيدي للانهمام تحت عنوان (سبق الذات). من هنا فإن هذا الربط الوثيق بين المقدرة_ على الوجود_الكلي وبين الفناء يعرض أمامنا كنوع من القمة، تنبثق منها لاحقا حركة تشكيل مختلف الهيئات المشتقة للزمانية درجة فدرجة...إن التعبير (من أجل) في الجملة الوجود_من_أجل_ الموت، يبدو وقد تضمن توجها نحو الاكتمال والانتهاء"[23]. لا ينبغي صرف النظر عن الاكراهات المورطة في الخوف والدهشة والشك، وليس هذا غريبا عن الكائن الجزائري حينها، بما أن الفضاء لم يمنحه إلا بعدا آخر للشهادة؛ بعيدا عن الزيف الحياتي الذي استحال إلى تأزم في ظل البؤس الكولونيالي_الفرنسي، ولاشك أن فضاء السجن يضاعف هذا الهم، حيث "إن ما يشرعن بشكل أساسي فصل المكان والزمان عن صورتهما الموضعة هو الصلة بين الذاكرة الجسدية وبين ذاكرة الأماكن؛ أن الجسد يشكل في هذا الصدد المكان الأول ألهنا، والذي بالنسبة له جميع الأماكن الأخرى هي الهناك. إن التساوق التام بهذا الخصوص بين المكانية وبين الزمانية: (هنا) و(الآن) تحتلان المنزلة عينها إلى جانب(أنا) (أنت)"[24]، أليست الذات بما تحمله من وعي بنداء الضمير، "تختبر قدرتها على الكينونة الأخص بها، ويحسن بها أن تكون كذلك، وإذا كان تأويل لاهوتي للوعي/الضمير أمرا ممكنا؛ فإنه يفترض تحديدا هذه الحميمية للذات الخاصة بالضمير"[25].

لما يتحمّل التأويل مطاردة هذه اللحظة بشعار حي حتى الموت في الصلاة الجنائزية يتسنى للفاني تلك الفسحة قبل أن يغادر الأحياء، فما هو معلوم أن حالة الفقيد استثنائية، حيث لا تتوفر على هذا الشرط الذي وسع الهوة بين قدره كموت وبين منحه المعنى الأخير للفقد جسدا وروحا، إن زاهانا الشاهد الوحيد على مشهد النهاية، يكون فيه السارد من خلال استعارة الأحياء الكلمات، علاوة على هذا تعد صلاة الجنازة طقسا بديلا عن خطابه هو غيابيا، ويبقى السؤال حول إن أقيم له هذا العزاء الخاص مصحوبا بالحداد، امتثالا لخطابه الذي يعد بداية الحداد، وإشعاره الأول.

ولا نكاد نختلف على أن لغز الموت هو المشكل الأول في هذه الرسالة، المحيل مباشرة على عتمة الرؤيا، والتوقع المريع (المخيف) المتجلي لدى الآخرين الشاهدين على حدث التوجه نحو الموت، فعندما نفكر فيه فإنه "يظهر بكل عذابه وآلامه ومعاناته. إن تخمين الشرور يجب أن يبدأ من هنا ومن هذه النقطة، وليس من أجل تكوين وتشكيل خيال، وإنما من أجل اختزاله والتساؤل: ماذا وراء هذا السيف وهذه المعاناة وهذا العذاب؟ فلو كشفنا ونزعنا القناع عن كل هذه الأشباح فماذا سنجد؟"[26]. يحمّلنا هذا السؤال الكثير من الاكراهات في كل إقبال وإدبار للمعنى الماثل على مرأى من الإنسان المعرض للمآزق، فهو كائن التناهي والمحدودية بامتياز، "إن نوع التخليد الذي يأتي من مسلسل إقامة الطقوس وإعادتها من وراء الموت لكل واحد بدوره للمحتفين ألا يجعل من إحياءنا الذكرى العمل الأكثر جنونا ويأسا، من أجل الوقوف في وجه النسيان في صورته الأكثر مكرا وهي محو الآثار والتدمير"[27]، لكن ما السبيل لاستسلام يليق باستقبال الموت؟ على الرغم من هشاشته الآنية يبقى عقدتنا الأخيرة التي لن نشخصها، في حين تأتي الخشية من الألم الذي يراود الإنسان على الدوام كلما ازداد معرفة، لاسيما بشأن ما ستحتفظ به الذاكرة ويتأبى عن النسيان، "كل موجود يستغرق الوجود هو نسيان للوجود مآله ضعف وتقهقر وسقوط، ولهذا فقدرنا أن نفنى عن شيء نوجد له كي نوجد من أجل شيء آخر، بل خيارنا الوحيد أن نفنى عما نحن فيه كي نستعيد الوجود المنفي أو المنسي ونحضر حضورنا القوي الفاعل في الـهنا والآن، هذه هي المفارقة الكبرى التي تخترق كينونتنا أن نختلف عما نكونه باستمرار أن نغيب حيث نحضر ونفنى حيث نبقى"[28]، زاهانا بوصفه ذاتا وذاكرة، معني بشكل ما بتوابع هذا الموت، بل إن الـ spleen" أنا الذاكرة التعيسة"[29]، لن تكون إلا أكبر هم يمكن أن يعيشه الشاهد على موته، فالاكتئاب والسأم واسوداد الدنيا والحزن والبؤس والحسرة والوجد ولوعة الفراق...إلخ ، تبدو الذات حيالها في أشد معاني الهشاشة، التي قد تراود ذويه إن لم يسعفهم حظ فهم خطابه، بيد أن النص يستجيب لتطلعات الرقابة على الإصغاء، حينها يبدو أن "موت الأقربين الذي نفضل أن نتأمل فيه؛ هو في الواقع الموت اللطيف"[30].

لا مندوحة أن موقع الذات ينكشف أمام هوامش الذاكرة، وأيّما تأويل للذات في إطار التوجه إلى الموت، يبلور تساؤلا تلو الآخر: هل ينتهي إلى الإيمان أن فكرة الخلاص تستغرق هذا

المعطى؟ يبقى أن الوعي بالخلاص لا يتسنى تخطيه بشكل أو بآخر، ألا تبدو إذن الذات مكرهة على المعنى في نسخته الأصل وشطحات تفكيكه التي تراوده عن الثبات، فيغدو كينونة مترحّلة، نسيا منسيا بعد كل محاولة لفهم الغائب/الحاضر، الذات/الغيرية، أو كما تبدّت لـ: ايمانويل ليفيناس *Emmanuel Levinas* أن "الآخرية التي تعبر عن نفسها في الوجه تقدم المادة الوحيدة الممكنة للإلغاء الكلي، فلا يمكنني أن أريد قتل إلا كائن مستقل نهائيا. أي : الكائن الذي يتجاوز إمكاناتي، وبذلك يشل إمكان إمكاناتي 'الآخر هو الكائن الوحيد الذي يمكنني أن أريد قتله" [(31)]، بيد أن الاغتراب الحاضر بقسوة داخل ذات الخطاب يستدعي التعبير عن الوحشة البالغة للذروة من خلال تجليات القلق، حيث "من شأن المرء أن يكون في وحشة... لكن الوحشة تعني بذلك في عين الوقت ألا_ يكون_ المرء_ في _ بيته"[(32)]، لا ضير أن زاهانا لم يتكلف مخاطبة متلقيه بما قد يعجز عن استيعابه، ما لم يكن على غاية الاستعداد كي يفهم معنى الموت وخلاصه، سوى أن هذه المقالة في تبسيط الموت "لا تلج كل أذن وصوب، لا يلين به كل طين وعين، لا يشرب منها كل وارد وترنم، لا يطرب عليها كل سامع ولحن، لا يفهمه كل فطن... وإنما حرمت هذه الحكم لأن الناس قد ملكتهم الطبيعة وخدعتهم العاجلة"[(33)]، ويبدو أننا في حاجة للالتفات إلى مستوى المتلقي المعني برسالة زاهانا، مع العلم أنه يوجه خطابه لأشخاص لا يحتاج إلى إفهامهم أكثر مما قد أعلمهم أنه منته بشكل أو بآخر، غير أن تمثله للحالة التي هم عليها تخول القول "إن المخوف لا يقصد رأسا إلى الخائف معا، إن الخوف من أجل يعرف عن نفسه أنه بوجه معين لا يؤثر فيه، وعلى ذلك هو مؤثر فيه معا ضمن تأثر الدازاين_معا، الذي من أجله هو يخاف. ولهذا السبب فإن الخوف من أجل...ليس خوفا _ على_ النفس لطف من حدته"[(34)]، وهذه دون شك الإرادة التي تفوض للإقرار أن يتخذ سبيله في العناد والممانعة، إقبالا على الشهادة مع تتويجها بنزعة المشاركة الإنسانية باعتباره مرادا وليس عدما، انتقالا وليس زوالا، "لم يعد الفقيد ذاته (هناك) على نحو واقعاني. وعلى ذلك فإن الكينونة_ معا إنما تعني دوما الكينونة_معا _الواحد _مع_ الآخر في العالم نفسه، إن الفقيد قد هجر (عالم)نا وتركه وراءه وإنه انطلاقا منه ما زال يمكن للباقين أن يكونوا معه"[(35)]. ومن هنا يتضح خلف الخطاب الكوجيطو المقلوب، الذي مفاده، "أفكر في الموت إذن أنا غير موجود". وهل يحصل الكمال في الحياة إلا بمذاق ممزوج بين السعادة

والشقاء؟ حيث يبدو أن إشكالية قراءة الحديث عن الموت تجعل الحاجة ملحة لسحب تيمة الإقرار في تشكلات الخطاب، باعتباره يشكل شبه اعتراف من قبل القربان (زاهانا) باقتدار الآخر على تجاوز حالة الخوف من الموت، بالاتكاء على مرجعية للتصدي له، غير أن إفراطه في تقزيم هذه الحالة الوجودية جعله يقيم اعتراضا معكوسا موازاة مع قلب النسيان ذاكرة ملزمة، لتفهم ما يجب أن يذكر مرارا ودون مواربة، هو ليس الخشية من الموت، وإنما الموت في نسخته الإنسانية غير المشوبة بالإفرازات المستشرفة من بعده (الانفصال، الفناء، ألم الفراق)، فما يتيح بعد ذلك مواجهة المجهول هو النسيان العمدي لكل ما يتوقع، "ففي مكابدة الخسارة لا تصبح على ذلك خسارة الكينونة التي كابدها المتوفى مولوجا إليها بما هي كذلك بالمعنى الصميم، نحن لا نجرب موت الآخرين، بل نكون على الأكثر دوما لديهم هناك فحسب"[(36)].

إن الهّم الذي أخذه زاهانا على عاتقه كان نتيجة لاستشكال الإنسان الذي يشدد على الخوف من المكاره اتجاه من يحبهم، في استعصاء فهم عقدة الموت كحقيقة لابد منها، ولأجل الوصول إلى معنى الخلاص، ناهيك عن أن "الموت ليس حدثا احتماليا، وإنما هو حدث ضروري، ليس حدثا بدرجة ما من الخطورة، إنه بالنسبة للإنسان الخطر المطلق ثم إن الموت يمكن أن يأتي ونعرف ذلك جيدا في أي وقت وفي أي مكان" [(37)]، على الرغم من ذلك يظل الإنسان حسب بول ريكور *Paul Ricœur* "بما هو كائن فاعل ومكابد هو نفسه ذلك الإنسان الذي يريد ويقرّر ويختار، باختصار ذاك الكائن الموجود والمتأثر والمتألم من الحكم السيئ، الذي ينظر به إليه ضميره الخاص في مناسبات خاصة بأفعال محددة" [(38)]، وتتحين الفرصة لمعرفة أن هذه القراءة تراهن على ميلاد الكائن السردي المتخلل النص، وهو أحد أوجه مشكلة الهوية السردية *dentite narrative*، لما يفترض أن تتمثل المتخيل في عمق المحمول السردي بوصفه من مكونات الهوية.

ثالثا_ الهوية السردية: إعادة صياغة المخيال الثوري

اللافت للنظر أنه يتبدى في مثل هذه النصوص مخيال صاغته الثورة، انطلاقا من قضايا لا تزال بكرا للدراسة، ولعل هذه الثقافة التي تصدع به رسالة زاهانا تجدنا في سؤال متواصل عن الهوية السردية المشوبة بما يسميه جاك لوكوف *Jacques Le Goff* بالجنون الهوياتي، ولا فكاك أنه يقوم على طي الهوية الذات على الهوية العين، وهاهنا يستشكل بول ريكور

المسألة بقوله: "هل يجب إذن أن تكون هويتنا هشة إلى درجة أنها لا تعود تستطيع أن تحتمل، أو أن تقبل أن يكون لآخرين طرق مختلفة عن طرقنا لعيش حياتهم وللتفاهم في ما بينهم، وتسجيل هويتهم الخاصة" (39)، ولا فكاك أن هذا الافتراض يوجه أولى ملامح انعطاف القراءة، حيث يدفعنا إلى الالتفات إلى بعض أصوات الرسالة التي تحمل في طياتها تفكيكا لمركزية الآخر، وإلا فما يفسر الغياب التام لذكر القرار الكولونيالي في السرد؟ ناهيك أنه يختزل في النهاية قلقا لدى القاتل، هو بشكل أو بآخر يحترز من أن يشاركه تلك اللحظة، وإن كان يتموقع كمركز، فلا يغني من كون الموت إذن بدل أن يفكك الذات الزاهانية يفكك الآخر عبر سلطة الخطاب،" الموت يقرّ ما هو (هو) هو طبقا لماهيته دوما ذاك الذي يخصني"(40)، علاوة على ذلك يتحرى فرانز فانون *Frantz Fanon* أن يكون مشتركا وموتا رمزيا للهوية قائلا: "موت الاستعمار هو في الوقت ذاته موت المستعمَر والمستعِمر" (41) ، وأقصى ما يمكن أن ينتظر في ظل تأويل هذا القانون هو تلك الفجوة التي يفرزها القرار بالإعدام من قبل الاستعمار لدى الشاهدين على الحدث الذين يؤول غالبهم مجمل المسافة المشتركة بين زاهانا والموت وبين زاهانا وبين الاستعمار؛ وشأن الموت الذي يطارد زاهانا لا يقل حدة عن ذاك الذي يلاحق الاستعمار في التاريخ، ولا مراء من أن كل استشراف لنهاية الاستعمار لن يكون نهاية للطرفين على مستوى الجسد فقط؛ بل على عمق أكثر تعقيدا، فالظاهرة هوياتيا أبعد من التوقف عند الصراع من أجل الحرية. إن الميليشيات الكولونيالية وعمليات الإجرام الجماعية والاعتقال اليومي، والمجازر والسجون ومستشفيات المجانين، جميعها لا يبرئ النزيف الداخلي للهوية بتوقفها، في وقت تأزم الذاكرة. ولطالما كان لهذه المقاربة بعدا مهما للغاية إذا تعلق الأمر بمسألة الهوية، ففي هذا السياق تبدو "إشكالية الذاكرة تتقاطع مع إشكالية الهوية حتى تكاد تختلط بها...كل ما يكون هشاشة الهوية يتبدى كمناسبة للتلاعب بالذاكرة، وبشكل أساسي عن الطريق الإيديولوجي. ولكن لماذا كان سوء استعمال الذاكرة هو أيضا سوء استعمال للنسيان؟" (42) ، حيث الباعث على استدعاء الذاكرة يمهد لإمكانية وجود نسيان احتياطي تمثل فيه الهوية الدور الفاعل، لاسيما وأن علاقتها بالذاكرة تبقى رهينة مكسب المطالبة بالاعتراف، فيما يثير في هذا الشأن ظاهرة الإدانة وتحميل التبعة.

لطالما توهم قضاء الاحتلال في الماضي أن قدرته على استنفاذ أقصى سبل التجريم، من

خلال وثيقة لشن حملة عنيفة لممارسة الحجز ومن ثم الإعدام، ويتضح أن هذا الأرشيف أعلاه يتصدر محاولة لاستئصال الثورة ليس إلا. فالنص القانوني لا يعدو أن يكون لغة تكابد كل ما يسلبه نظامه، ويبقى أن هذا الصراع بين السلطات لأجل النفوذ تستغرقه القدرة على البقاء، ولما أن "كانت السلطة متعددة في الفضاء الاجتماعي، فهي بالمقابل ممتدة في الزمان التاريخي، وعندما نبعدها وندفعها هنا، سرعان ما تظهر هنالك، وهي لا تزول البتة قم ضدها بثورة بغية القضاء عليها، وسرعان ما تنبعث وتنبت في حالة جديدة، ومرد هذه المكابدة والظهور في كل مكان: هو أن السلطة جرثومة عالقة بجهاز يخترق المجتمع، ويرتبط بتاريخ البشرية في مجموعه، وليس بالتاريخ السياسي وحده، هذا الشيء الذي ترتسم فيه السلطة، ومنذ الأزل هو اللغة أو بتعبير أدق: اللسان"[(43)]، وعليه ترى السلطة الاستعمارية في شخص زاهانا وأمثاله سلطة موازية، هي عبارة عن وباء لابد من استئصاله، وتسعفنا هذه الرؤيا في القول بأن الوسائط التي يتخذها خطاب زاهانا تتجاوز التحديد الزمني، هو يلجم الكلام عن ذكر العدو، الذي يتخذ زاهانا موقعا ذا بال في وثيقته، فعوض أن تبدد أسطورته، وقعت بفعل ذاكرة مؤرشفة في هوية مضادة، وزيادة على ذلك لم يرد هذا القرار في السرد الزاهاني كونه ينسب إلى العدالة قيمة متعالية، توفر عليه عناء الجدل، ثم يتهكم على القرار الاستعماري بالتحية الموجهة لأقاربه، وما وسع القارئ أن يصف خطابه وهو متوجه نحو الفناء، ويتخلله هذا الحس الوجداني بأن يمجد أهل القربان؟ وليست قوة خطابه في الاستفزاز الدائر حول الحكم/الإعدام بقدر ما هو موضوعة لسانية مشبعة بالدلالات، ولسنا نعزف إذ ذاك عن اللعب على الأطراف؛ إذا تبين أن اللاشعور في الطرف الموازي يتجلى في قراراته، هو ليس ضربا من الوهم القول بأن يكون الخوف المرضي من زاهانا هو الذي جلب قرار الإعدام، وبالرغم من هذا القرار يبقى أنه "من تعلم كيف يموت تخلص من أن يخضع أن معرفة الموت تحررنا من كل خضوع ومن كل قيد وإكراه"[(44)]. وفي سبيل ذلك يأتي إصلاح الموت بالموت من أجل الولادة من جديد والانبعاث، فإمكان الموت معناه أن يستطيع المرء الموت كموت الإنسان وحده، سوى أن ما تطرحه قضية الإعدام للنقاش ينفتح على عدة تأويلات. فالمتأمل لنص القرار من منظور ميشال فوكو *Michel Foucault* سيلاحظ أن الإعدام إلى جانب كونه كفيل بجعل الموت إيلاما مفروضا، ما هو في النهاية إلا عملية مزدوجة، "إبطاء المشهد وإلغاء

الألم، إنما تشهد عليها الطقوس الحديثة في تطبيق الإعدام...هناك موت واحد دون أن يكون على هذا الموت أن يحمل عاليا وسمة الجريمة أو أن يشهر بالوضع الاجتماعي للمجرم، موت لا يدوم أكثر من لحظة، دون ما ضراوة تضاعف هذا الموت قبل التنفيذ أو بعده توقعه على الجثة، تنفيذ ينصب على الجناة أكثر مما ينصب على الجسد" (45)، علاوة على أن التملص الرهيب من قبل المتعرض للإعدام فيما يخص عداء الخوف من الموت لم يكن بدعا بل له محددات تمنحه نفس التجاوز، ويبقى الانتظار في النهاية مشوبا بآلام الاحتضار، وشاهدا على فكرة التوجه نحو الفناء.

خاتمة :

ينبغي العلم في المحصلة أن الإحاطة بإشكالية الذاكرة في الظروف التي تستدعي حضور خطاب تاريخي من أشد الظواهر تعقيدا، لاسيما وأن الاكراهات المتعلقة بالأمانة واستمرارية الحدث ينطوي على صراع كامن في التاريخ، يصطدم بالمطالبة بالاعتراف، فيما أن الحديث عن عدم القدرة على الغفران لا يزال في حاجة إلى التيقظ الشديد للاشتغال على الإدانة أو تحميل التبعة، موصوفا بما لا يتقادم وما لا يمر عليه الزمن، ويستدعي هذا الوقوف عند أشدّ السبل أشكلة لمراجعة معضلة الصفح والعفو، وهو المتغير الأساسي في اشتغال الذاكرة، ولا مندوحة أن العودة إلى مثل هذه النصوص يشكل أفقا قلقا للهوية، لا يفتأ يعنى بأشكلة الذاكرة وما يطالها من تعقيد تعكسه الهوية دون هوادة.

بين ثنايا القراءة أعلاه مجال واسع لطرح تساؤلات عميقة عن إمكانية قراءة نص مثخن بمخيال جماعي، بصدد وثيقة تاريخية مؤرشفة، وعن مدى الاستجابة لأصالة الافتراضات المتخللة الذاكرة في صيغتها التفكّرية. وتدخل هذا المعطى كفضاء إشكالي أمام ما هو معرفي، ولا نكاد نغفل عن كونه امتداد لتقليد تفكرّي، لإذابة التاريخ في الذاكرة، وإزاحة ما يحول دون احتواء هذا المفهوم لاشتقاقات لا تكاد تنعزل الواحدة عن الأخرى، ناهيك عن أن الحديث عن تراث ثوري ماثل أمامنا في كليته؛ لا يستقيم على عوده بصدد مقاربة الشرط التفكّري إلا بالعودة إلى مساءلة القيمة المعطاة للحدث قبلا، ولصياغته في الكتابة، ولم يكن بدعا بالمرة القول أن نشاط هذه الذاكرة لا يفتر يلتبس باكراهات النسيان الأكثر أشكلة، في عمق تعقيدات تجربة الغفران الصعب، وما يلحقها في أفق أوسع؛ حيث يثار النقاش حول المطالبة بالاعتراف، من

خلال تحميل التبعة والإدانة، ليبقى مشروعا مرتهنا بالعودة إلى مساءلة الهوية والتاريخ، مراعاة للمخيال الثوري، وقدرته على توجيه الذاكرة.

الإحالات:

---

(1)بول ريكور، الذاكرة والتاريخ والنسيان، تر: جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت/لبنان، ط 1، 2009، ص83.

(2)صديقي مراد ، الثورة الجزائرية، عمليات التسليح السرية، دار المعرفة، ب ط ، د ت ، ص46.

(3)بول ريكور، الذاكرة ، التاريخ النسيان، ص214.

(4)جاك ديريدا، علم الكتابة، تر: أنور مغيث، المركز القومي للترجمة، القاهرة /مصر، ط2، 2008.

ص91، ينظر أيضا، بول ريكور، الذاكرة، التاريخ، النسيان، ص431.

(5)أفلاطون، محاورة فايدروس، تر: أميرة حلمي مطر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة/مصر، 2000، ص110.

(6)جاك ديريدا، صيدلية أفلاطون، تر: كاظم جهاد، دار الجنوب للنشر، تونس، 1998، ص54.

(7)المرجع نفسه، ص83.

(8)بول ريكور، الذاكرة، التاريخ، النسيان، ص602.

(9)محمد الطاهر عزوي، ذكريات المعتقلين، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995، ص233.

(10)المرجع نفسه، ص575.

(11)بول ريكور، حي حتى الموت، متبوعا بشذرات، تر: عمارة الناصر، منشورات الاختلاف، بيروت /لبنان، ط1، 2016، ص47

(12)بول ريكور، الذاكرة التاريخ النسيان، ص524.

(13)بول ريكور، حي حتى الموت، متبوعا بشذرات، ص08.

(14)بول ريكور، الزمن والسرد، الحبكة والسرد التاريخي، ج1، تر: سعيد غانمي، دار الكتاب الجديدة، بيروت/لبنان، ط ،1، 2006، ص163.

(15)بول ريكور، الذاكرة والتاريخ والنسيان،ص62.

(16)المرجع نفسه، ص75.

(17)المرجع نفسه، ،ص80.

(18)بول ريكور، الزمن والسرد، ج1،ص180.

(19)مارتن هايدغر، الكينونة والزمن، تر: فتحي المسكيني،دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس/ليبيا، ط1، 2012، ص443.

(20)لا يتوقف نص الرسالة عن الامتثال لهذا المبدأ ' التوجه نحو الموت '، حتى أن صوته الغالب يبعث على التأمل بشدة في كون الكائن متأكد أنه من "شأن المرء أن يموت يوما" المرجع نفسه،ص458، ويستمر مارتن هايدغر *Martin Heidegger* في نشدان فهم ظاهرة الفناء، أو ما هو راسخ ومكرس لدى البشرية، بما هم أولئك الفانون "إن الموت واقعة تجربة لا يمكن إنكارها...إن فقدان الحياة بما هو حدث عارض ليس يقينيا إلا من جهة التجربة، ذلك لا يحسم أمر يقينية الموت"، المرجع نفسه، ص461.

[21]بول ريكور، الذاكرة والتاريخ والنسيان، ص133.

[22]المرجع نفسه، ص287.

[23]المرجع نفسه، ص524.

[24]المرجع نفسه، ص84.

[25]بول ريكور، الحب والعدالة، تر: حسن طالب، دار الكتاب الجديدة، بيروت/لبنان، ط1، 2013 ، ص108.

[26]ميشال فوكو ، تأويل الذات، تر: الزواوي بغورة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت/ لبنان، ط 1، 2011. ص441.

[27]بول ريكور، الذاكرة والتاريخ والنسيان،ص86.

[28]علي حرب، أسئلة الحقيقة ورهانات الفكر، مقاربات نقدية وسجالية، دار الطليعة، بيروت/لبنان، ط 1، 1994، ص53.

[29]بول ريكور، الذاكرة والتاريخ والنسيان، ص132.

[30]المرجع نفسه، ص530.

[31]إيمانويل ليفيناس، الزمان والآخر، تر: جلال بدلة، معابر للنشر والتوزيع، دمشق / سوريا، ط1، 2014، ص22

[32]مارتن هايدغر، الكينونة والزمن، ص357.

[33]التوحيدي، ثلاث رسائل للتوحيدي، تح: ابراهيم الكيلاني، دمشق/سوريا،ب ط،1951، ص74.

[34]مارتن هايدغر، الكينونة والزمن، تر: فتحي المسكيني، ص278.

[35]المرجع نفسه، ص434.

[36]المرجع نفسه، ص434، 435 .

[37]ميشال فوكو، تأويل الذات، ص444.

[38]بول ريكور، الذاكرة والتاريخ والنسيان، ص138.

[39]المرجع نفسه، ص137.

[40]مارتن هايدغر، الكينونة والزمن، تر: فتحي المسكيني، ص436.

[41]فرانز فانون، سوسيولوجيا الثورة، تر: ذوقان قرقوط، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت/لبنان، ط 1، 1970، ص22.

[42]بول ريكور، الذاكرة والتاريخ والنسيان، ، ص648.

[43]رولان بارث، درس السيميولوجيا، تر: عبد السلام بنعبد العالي، دار طوبقال للنشر، الدار البيضاء / المغرب، ط 2، 1986، ص12.

[44]بول ريكور، الذاكرة التاريخ النسيان، (هامش) ص528.

[45]ميشال فوكو، المراقبة والمعاقبة، ولادة السجن، تر: علي مقلد، مركز الإنماء القومي، بيروت/لبنان، ب ط، 1990، ص54.

تتحين الفرصة لمعرفة أن "المادة الثالثة الشهيرة من القانون الفرنسي لسنة1791 التالي نصها (كل محكوم بالإعدام يقطع رأسه)، تحمل هذا المعنى المثلث: موت يتساوى فيه الجميع (الجرائم من ذات النوع تعاقب بذات النوع من العقوبة، مهما كان مركز وحالة الجاني)". المرجع نفسه، ص54.

_ قائمة المراجع:

ميشال فوكو، المراقبة والمعاقبة، ولادة السجن، تر: علي مقلد، مركز الإنماء القومي، بيروت/لبنان، ب ط، 1990.

فرانز فانون، سوسيولوجيا الثورة، تر: ذوقان قرقوط، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت/لبنان، ط 1، 1970.

رولان بارث، درس السيميولوجيا، تر: عبد السلام بنعبد العالي، دار طوبقال للنشر، الدار البيضاء / المغرب، ط 2، 1986.

التوحيدي، ثلاث رسائل للتوحيدي، تح: ابراهيم الكيلاني، دمشق/سوريا،ب ط،1951 .

إيمانويل ليفيناس، الزمان والآخر، تر: جلال بدلة، معابر للنشر والتوزيع، دمشق / سوريا، ط1، 2014،

علي حرب، أسئلة الحقيقة ورهانات الفكر، مقاربات نقدية وسجالية، دار الطليعة، بيروت/لبنان، ط 1، 1994.

ميشال فوكو ، تأويل الذات، تر: الزواوي بغورة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت/ لبنان، ط 1، 2011.

بول ريكور، الحب والعدالة، تر: حسن طالب، دار الكتاب الجديدة، بيروت/لبنان، ط1، 2013 .

مارتن هايدغر، الكينونة والزمن، تر: فتحي المسكيني،دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس/ليبيا، ط1، 2012.

بول ريكور، الزمن والسرد، الحبكة والسرد التاريخي، ج1، تر: سعيد غانمي، دار الكتاب الجديدة، بيروت/لبنان، ط 1، 2006.

بول ريكور، حي حتى الموت، متبوعا بشذرات، تر: عمارة الناصر، منشورات الاختلاف، بيروت /لبنان، ط1، 2016 .

جاك ديريدا، صيدلية أفلاطون، تر: كاظم جهاد، دار الجنوب للنشر، تونس، 1998.

محمد الطاهر عزوي، ذكريات المعتقلين، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995.

جاك ديريدا، علم الكتابة، تر: أنور مغيث، المركز القومي للترجمة، القاهرة /مصر، ط2، 2008.

صديقي مراد ، الثورة الجزائرية، عمليات التسليح السرية، دار المعرفة، ب ط ، د ت .

بول ريكور، الذاكرة والتاريخ والنسيان، تر: جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت/لبنان، ط 1، 2009.

أفلاطون، محاورة فايدروس، تر: أميرة حلمي مطر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة/مصر، 2000 .